﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ١٢١ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٢٢﴾ [هود: 121- 122]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتينِ لما قَبْلَهُما:

بعدَ التّرغيبِ والتّرهيبِ جاء بالتّهديدِ والوعيد

لَمّا بلغَ الغايةَ في الإعذارِ والإنذار، والتّرغيبِ والتّرهيبِ، أتبعَ ذلك بالتّهديد والوعيد؛ بأنْ قال للرّسول: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَكَانَتِكُمۡ﴾: المعنى المحوريّ لـ (مكن) رسوخُ الشّيء متجمّعًا في باطنٍ يلتئم عليه، ومنه المكانة بمعنى الرّسوخ في أثناءِ الشّيء، وهذا يُعطي المعرفةَ به، والثّباتُ يُعطي القُدْرةَ أيضًا[2]، والمَكان عند أهل اللّغة: الموضعُ الحاوي للشّيء[3]، والمكانة: المنزلَة، ورفعة الشَّأن، والتُّؤَدَةُ[4]، يُقال: مَرَّ على مَكانَته؛ أيْ: تُؤَدَته، وفلانٌ يعملُ على مَكِينَته؛ أيْ: اتِّئادِه، والمَكِنَةُ إنّما هي بمعنى التَّمَكُّنُ، وفي التّنزيل العزيز: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾؛ أيْ: على حِيالِكُم وناحِيَتِكُم، وقيل: معناه: على ما أنتم عليه مُسْتَمْكِنُونَ[5].

والمُراد في الآية: أيْ: على طريقتكم الّتي تتمكّنون من العمل عليها[6]، وحالكم وجهتكم الّتي أنتم عليها من الغيّ والضّلال[7].

2) ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ﴾: النّون والظّاء والرّاء أصلٌ صحيح يرجع

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 18/43، وابن عادل، اللُّباب في علوم الكتاب: 10/604.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (مكن).
(3) الرّاغب، المفردات: (مكن).
(4) مجمع اللُّغة العربيّة، المعجم الوسيط: (مكن).
(5) الزّبيديّ، تاج العروس: (مكن).
(6) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 3/592.
(7) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/249، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3779.

فروعه إلى معنى واحد، وهو تأمّل الشّيء ومعاينته، ثم يُستعار ويتّسع فيه، يقولون: نَظَرْتُهُ؛ أيْ: انْتَظَرْتُهُ، كأنّه ينظرُ إلى الوقت الّذي يأتي فيه[1]، والنَّظَر: الانْتِظار، يُقال: نظرتُ فلانًا وانْتَظَرتُه، بمعنًى واحدٍ، إذا ارتقبتَ حضوره[2]، وأنْظَر الشَّيْء: أخّرهُ وأمْهله، وانْتظره: ترقّبه وتوقّعه وتأنّى عليه[3]، والنّظر: الإمهالُ، والانتظارُ المأخوذُ اشتقاقيًّا من التّرقُّب والتّفحّص في المواجهة[4]، والمُرادُ في الآية موافقٌ للمعنى اللُّغويّ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

كـــلٌّ يـعـمـلُ عـلى شاكـلـتـه وستعلمونَ مَن تكونُ له عاقبةُ الدّار

يقول تعالى آمرًا رسوله أنْ يقولَ للّذين لا يؤمنون بما جاءَ به من ربّه، ولم تؤثّر فيهم هذه المواعظُ البالغة على وجهِ التّهديدِ: اعملوا على طريقتكم ومنهجكم، وكلّ ما تقدرون عليه في حقّي من الشّرّ، ومن الإعراض عن الحقِّ والصّدِّ عنه، فنحنُ أيضًا عاملون على طريقتنا ومنهجنا من الثّبات عليه، والدّعوة له، والصّبر عليه[5]، وانْتَظِرُوا بنا الدّوائر إنّا مُنْتَظِرُونَ أنْ ينزل بكم نحو ما اقتصّ الله من النّقم النّازلة بأشباهكم[6]، وستعلمون مَنْ تكونُ له عاقبةُ الدّار، إنّه لا يُفلح الظّالمون[7].

وتُرشدُ الآيتان الكريمتانِ إلى العمل على تبليغِ دعوةِ الحقِّ والدّأبِ عليها، لا يُثني عن ذلك كفرُ كافرٍ، ولا يردُّ عن الدَّعوة إلى الخير طغيانُ طاغٍ، ولا يصرفُ عنها صارفٌ، وإلى بيان سُنَّةٍ من سُنن الله الّتي لا تتخلَّف، وهي أنَّه سبحانه لا يظلمُ النّاسَ شيئًا ولكنَّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نظر).
(2) الزّبيديّ، تاج العروس: (نظر).
(3) مجمع اللُّغة العربيّة، المعجم الوسيط: (نظر).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نظر).
(5) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 18/43، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/312.
(6) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/439.
(7) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/312.

النّاسَ هم الّذين يظلمون أنفسَهم بإعراضهم عن الحقِّ، واتِّباعِهم للهوى، واستحقاقِهم للعقوبة الّتي هي جزاءٌ عادلٌ لكلِّ ظالم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة العطف في ﴿وَقُل﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ عاطفةٌ، وأمّا المعطوف عليه فيحتمل وجهيْن:

خطابُ حقٍّ جاءَ ذِكرى للمؤمنين وتهديدًا ووعيدًا للكافرين

الأوّل: جملة ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لأنّها لَمّا اشتملت على أنّ في هذه القصّة تثبيتًا للنّبيّ ﷺ، وموعظةً وذكرى للمؤمنين؛ أُمرَ بأنْ يُخاطِبَ الّذين لا يؤمنون بما فيها خطابَ الآيِسِ من انتفاعهم بالذِّكرى، الّذي لا يعبأُ بإعراضهم، ولا يصُدُّه عن دعوته إلى الحقِّ تألُّبُهم على باطلهم، ومقاومتهم الحَقَّ[2].

الثّاني: على قوله: ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هود: 115]، "أيْ: اصبر على ما أمرناكَ به من تبليغٍ وحينا وامتثاله، ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾"[3].

دلالة الأمر بـ ﴿وَقُل﴾:

(قُـلْ) بين مدحٍ وإكرامٍ للرّسول وبين بيانِ أهميّةِ المَقول

افتتحَ البيانُ الإلهيّ الآيةَ بفعل الأمر ﴿وَقُل﴾، في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وهو أمرٌ حقيقيّ؛ أيْ: طُلبَ فيه الفعلُ على وجهِ الاستعلاءِ، وخطابه إلى النّبيّ ﷺ؛ لعدّة أغراضٍ منها:

الأوّل: المدحُ والإكرامُ للنّبيّ ﷺ، إذ هو الوحيدُ المُفوَّضُ بالتّبليغِ عن الله، بل بالتّهديد والوعيد لمَن لا يؤمن بالله سبحانه، وفي هذا إعلاءٌ لمقام الرّسالة، ومقام النّبيّ ﷺ.

(1) مجمع البحوث الإسلاميّة، التّفسير الوسيط: 4/270، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 7/153.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/193.
(3) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 9/405.

الثّاني: الاهتمامُ بالمَقول، فإنّ أصلَ الأمرِ بالقول في مقام التّصدّي للتّبليغِ دالٌّ على الاهتمام[1].

ويحتمل أنْ يكون الأمر ﴿وَقُل﴾ خطابًا للجميع، فأُمرَ كلُّ واحدٍ بأنْ يقول ذلك[2]، بما يدلّ على أسلوبٍ حِواريٍّ استدلاليٍّ في إقامةِ الحُجّة.

معنى اللّام في ﴿لِّلَّذِينَ﴾:

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هي لامُ الاختصاص؛ أي: خُصَّ بالتّهديد والوعيد الّذين لا يؤمنون؛ أيّ: الكافرين الّذين لا يُصدِّقون بما أُنزلَ إليكَ من ربّك على وجهِ الوعيد.

التّهديدُ والوعيدُ يستحقّه مَن لا يؤمنُ بالله

فائدةُ التّعبير بالاسم الموصول في الآية:

عبّر المولى ﷻ بالاسم الموصول في قوله: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ دون الاسم الظّاهر، فلم يَقُل: (وقل للكافرين)؛ للإيماء إلى وجهِ استحقاقهم هذا التّهديد والوعيد بما يلقونهُ من العذاب، بسبب عدم الإيمان بالله سبحانه، وعدم تأثّرهم بالموعظة، ولقصدِ الإبهام الّذي من أسراره التّنبيه على التّعميم؛ لأنَّ (الّذين) من ألفاظ العموم، أيّ إنّها تشمل كلَّ مَن لا يؤمن بالله، ولو بأدنى إيمانٍ، وليس بالضّرورة أنْ يكون راسخًا في عدم الإيمان - الّذي يُفيده التّعبير بـ (الكافرين) - حتّى يُوجَّهَ إليه هذا التّهديد.

أدنى كافرٍ بالله يشملهُ هذا التّهديدُ من رسولِ الله ﷺ

نكتةُ جمع الاسم الموصول ﴿لِّلَّذِينَ﴾:

جاء الاسم الموصول بصيغة الجمع ﴿لِّلَّذِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إشارةً إلى أنّهم قومٌ اجتمعوا على الجحود، وعدم الإيمان، واتّفقوا عليه، وزيّن بعضهم لبعضٍ ذلك، وإنّما

الكافرونَ بالله فريقٌ اجتمعَ على الباطلِ ومحاربةِ أهلِ الحقّ وتمنّي الشّرّ للمؤمنين

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/192.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/339.

أُمرَ النّبيّ ﷺ أنْ يتوجّه بالتّهديد إليهم جميعًا، وهو في الحقيقةِ سيخاطبُ رؤساءهم وزعماءَهم فقط؛ لأنّ البقيّة هم أتباعٌ للزُّعماء يأتمرون بأمرهم؛ فخطابُ زعمائهم خطابٌ لهم.

غرضُ التّعبير بالمضارع في: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

عبّر البيانُ القرآنيّ عمّن انتفى عنهم الإيمان في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بصيغة المضارع؛ إشارةً إلى أنّ هؤلاء "لا يتجدّدُ لهم إيمانٌ منذرًا لهم"[1]، فالكفرُ منهم مُتجدّدُ الحدوث، فالكافرُ الجاحد تنحلُّ عقدةُ الإيمان في قلبه، فلا ينعقدُ قلبه على إيمان؛ بل هو جاحدٌ مضّطرب الفكر والنَّفس والقلب تأسرُه الأهواءُ المتنازعة، ويسيرُ مع أشدّها انحرافًا، وأقواها استهواءً[2].

الكفرُ فيهم مُتجدِّدٌ، تأسرهم الأهواءُ المتنازعةُ، ويسيرون مع أشَدِّها انحرافًا

دلالةُ الأمر في قوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟﴾:

عبّر البيانُ الإلهيّ في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ بفعل الأمر ﴿ٱعْمَلُوا۟﴾، وهو لفظ أمرٍ، والمُراد منه هنا التّهديد والوعيد[3]؛ وخطابه إلى الّذين لا يؤمنون؛ لكون الأمرِ في عدم الرِّضا بالمأمور به، كما تقول لمَن يفعل الشَّرَّ: افعل ما يبدو لك، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [فُصّلت: 40]، وكما قال ﷺ: «إنّ ممّا أدركَهُ النّاسُ من أقوالِ النّبوّة الأولى، إذا لم تَسْتح فاصْنَعْ ما شِئْتَ»[4]، والمعنى: اعملوا قدْر إمكانكم، واستطاعتكم، أو استمرُّوا على طريقتكم ومنهجكم، أو ما أنتم عليه من الكُفر، ونحن سنعملُ قدرَ استطاعتنا، وعلى طريقتنا، وما أنزلَ الله إلينا.

تهديدٌ ووعيدٌ للكافرين بما يلقونهُ من العذابِ جزاءً بما كسبت أيديهم

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 9/405.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3779.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/229.
(4) صحيح البخاريّ، كتاب: الأدب، باب: إذا لم تستح فاصنع ما شئتَ، الحديث رقم: (5769). والحديث من أفراد البخاريّ على مسلم.

سرُّ اختيار مادَّة العمل في ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾:

مهما بلغَ عملُ الباطلِ قوّةً وتكرارًا، واتّسع نيّةً وقولًا وفعلًا؛ فإنّ الحقّ له بالمرصاد

اختارَ البيانُ القرآنيُّ التّعبير بالعمل دون الفعل في قول تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾ و﴿عَٰمِلُونَ﴾؛ لكونِ دلالةِ العملِ أوسعَ من دلالةِ الفعل؛ فالعملُ هو مجموع الأحداث الّتي تصدرُ عن الإنسان من قولٍ أو فعلٍ أو نيَّةٍ، فكلُّ حدثٍ يصدر من الإنسان يُسمَّى عملًا، فإذا صدر الحدث من اللّسان كان قولًا، وإذا صدر من بقية الجوارح كان فعلًا، وعملُ القلوب هو النّيّة[1]، ولو عبّر بالفعل لم يشمل عملهم في محاربة الإسلام إلّا ما قامتْ به جوارحهم فقط، وهذا خلافُ الواقع؛ فإنّهم حاربوا رسولَ الله وما زالوا يُحاربون دينه بأقوالهم وأفعالهم ونواياهم الخبيثة الّتي تدفعهم إلى هذه الأفعال والأقوال، وبالمقابل فقد واجههم رسولُ الله والمؤمنون معه بالثّباتِ على الحقّ، والدّعوة إليه نيّةً وقولًا وفعلًا.

إضافةً إلى مناسبةِ استخدام مفردة العمل للسّياق؛ فقد خُتمتِ الآيات بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾، ومناسبتها لمقام الحالِ، فالخطابُ من رسولِ الله ﷺ للكافرين، واستخدامُ مفردة العمل أنسبُ لحاله ﷺ وحالهم؛ لأنّ العملَ هو كلّ فعلٍ يكون بقصدٍ، بخلاف الفعلِ الّذي قد يكون بقصدٍ أو بدون قصد[2]، ولأنّ العمل لا يُقال إلّا في ما كان عن فكرٍ ورَويّةٍ بخلاف الفعل الّذي قد يكون برَويّةٍ أو بغير رَويّةٍ[3]، أيّ أنَّ العمَل لا يكونُ إلّا من عاقل، بخلاف الفعل الّذي قد يُنسب إلى الحيوان والجمادات، والعملُ قلّما يُنسبُ إلى ذلك[4]، والفعلُ يكون لِما كان في زمَنٍ يَسيرٍ بلا تَكْريرٍ بخلاف

(1) الشّعراويّ، تفسير الشعراوي: 10/6014.
(2) الرّاغب، المفردات: (عمل).
(3) الكفويّ، الكليّات، ص: 666.
(4) الرّاغب، المفردات: (عمل).

العملِ الّذي يكون لِما تكَرَّرَ وطالَ زمَنُه واستَمَرَّ[1]، وهذا حالهُ ﷺ في تهديدهم، وحالُهم في الإنكار والإعراض.

نكتةُ التَّعدِية في قوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾:

عدّى البيانُ القرآنيُّ فعل ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾ بحرف الجرّ ﴿عَلَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾، إمّا على تضمين ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾ معنى (استمرُّوا)، والتّقدير: (استمرُّوا على طريقتكم ومنهجكم، أو ما أنتم عليه من الكفر)، والغرضُ من هذا التّضمين إعطاءُ مجموعِ مَعْنَيَيْن؛ وهما: العمل والاستمرار في العمل، وذلك أقوى من إعطاء معنًى واحدٍ.

استعلاءٌ وكِبْر في حالِهِمُ الثّابتةِ على الباطلِ أو في استمرارهم عليه

أو أنْ يكونَ ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ جارًّا ومجرورًا مُتعلّقًا بمحذوف حالٍ من فاعل: ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾، والمعنى: اعملوا حالَ كونكم ثابتين، أو متمكّنين على مكانتكم[2].

وعلى كلا الوجهيْن فإنّ التّعدية بـ ﴿عَلَىٰ﴾ تشيرُ إلى الاستعلاءِ الّذي كان عليه الكافرون، والعنادِ الكبير لديهم.

بلاغة القراءات القرآنيَّة في ﴿مَكَانَتِكُمۡ﴾:

في قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ قراءتان متواترتان:

في القراءتيْن تنوّعٌ بين الجمعِ والإفراد مراعاةً لجمعِ المخاطَبين أو إفرادًا لجنسهم

الأولى: (مَكاناتِكُم) بالألف على الجمع، وهي رواية أبي بكر شُعْبة عن عاصم.

والثّانية: وهي قراءة الباقين، ﴿مَكَانَتِكُمۡ﴾: بغير ألفٍ على التّوحيد[3].

وعلى القراءة الأولى (مكاناتكم) جمع (مكانة) فيها دلالةٌ على الحالة الّتي هم عليها، ولمّا كانوا على أحوالٍ مختلفةٍ من أمرِ دنياهم جمعَ لاختلافِ الأنواع.

(1) الزّبيديّ، تاج العروس: (فعل).
(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 9/405، ودرويش، إعراب القرآن: 4/446.
(3) ابن الجزريّ، النّشر: 2/263.

وأمّا على قراءة ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ على الإفراد، فهو مصدرٌ يدلُّ على القليل والكثير من صنفهِ من غير جمعٍ ولا تثنيةٍ، مثل الفعل، والفعلُ مأخوذٌ من المصدر، فكما أنَّ الفعلَ لا يُثنَّى ولا يُجمع؛ فكذلك المصدر، إلّا إذا اختلفتْ أنواعه فحينئذٍ يشابهُ المفعول، فيجوز جمعه[1].

فمَنْ جمعَ قابلَ جمعَ المخاطَبين بالجمع، ومَن أفردَ فعلى الجنس، وعلى كلتا القراءتيْن: المكانة، مصدر (مكن)، وبمعنى المكان، ويحتمل أنْ يكون المعنى على تمكّنكم من أمركم، وأقصى استطاعتكم وإمكانكم، أو على جهتكم وحالكم الّتي أنتم عليها؛ أيْ: فاثبتوا على كفركم ومعاداتكم، أو على ناحيتكم؛ أيْ: ما تَنْحون؛ أيْ: ما تقصدون من صالحٍ وطالحٍ[2].

نكتةُ فضلِ قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾:

استئنافٌ بيانيٌّ يدلُّ على توكيدِ ثباتِ المؤمنين على دينِ الله مهما تعرّضوا للمكرِ والإيذاء

لم يذكر البيانُ الإلهيّ العاطف بين قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ وما سبقها ﴿ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾؛ لوقوعها استئنافًا بيانيًّا، لِما بين الجملتيْن من شبهِ كمالِ الاتّصال؛ وذلك أنّه بعد أنْ قال لهم: استمرّوا في طريقكم، وما أنتم عليه من الكفر، كأنّهم قالوا: فما يكونُ إذا عملنا نحن على مكانتنا؟ فجاء الجواب في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ تأكيدًا لثباتِ النّبيّ والمؤمنين على دينِ اللّه مهما تعرّضوا للمكرِ والإيذاء، إي: إنّ فعلكم لنْ يُثنيَنا؛ فإنّا عاملون ما نحن عاملوه من الأعمال الّتي أمرنا اللّه بها، ثابتون عليها، وهذا التّأكيدُ لأجلِ إنكارِ الكفّار أنْ يُداومَ المؤمنون على العمل المخالف للكفّار مع ما يصل إليهم لأجله من الضُّرِّ، وسواء عملتم أيّها الكفّار أم لم تعملوا فإنّا عاملون لا محالة، فعملنا ثابتٌ لا نَحولُ عنه؛ لأنّ ما كان للّه فهو دائمٌ بدوامه سبحانه[3].

(1) محيسن، المُغْني: 3/103.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/652، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/188.
(3) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 9/405.

فائدةُ الجمع في ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ و﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾:

آثرَ القرآنُ التَّعبيرَ بضميرِ الجمع دون الإفراد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ و﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾، فلم يَقُل: (إنّي عامل، وإني منتظر)؛ أيْ: أمرَ اللّه رسولَه بأنْ يقول ذلك على لسانِ المؤمنين لا على لسانه، ليُفيد بذلك:

حالُ المؤمنين أنْ يكونوا صادقين في إيمانهم وطاعتهم لرسولهم واتّحاد كلمتهم

- شهادةً من اللّه بصدقِ إيمان المؤمنين ممّن كان معه ﷺ، وإشارةً لمَن يأتي بعدهم بأنْ يكون هذا حالهم.

- ومدحًا لهم إذْ فيه التّفويضُ إلى رأس الأمّة بأنْ يقطعَ أمرًا عن أُمّته ثقةً بأنّهم لا يردّون فِعْله[1].

- وإشارةً إلى أهميّة الجماعة المؤمنة، وتَوحُّد كلمتها، واعتصام أهلها، وعدم تفرُّقهم في مواجهة الباطل وأهله.

لطيفةُ توالي المؤكّدات في ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾:

أكَّد ﷺ قوله: ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ بعدّة مؤكّدات:

كمالُ ثباتِ النَّبيِّ والمؤمنين على الحقِّ الَّذي يدعون إليه مهما تعرَّضوا للمكائد والشُّرور

الأوّل: التّوكيدُ بـ (إنّ)، إذ إنّ هذا الحرفَ يُفيدُ توكيد النّسبة بين المُسنَدِ والمُسنَدِ إليه في الجملة[2]؛ لأنّ المخاطَبين وهم كفّار قريش كانوا عالِمينَ بأنَّ النّبيّ ﷺ ثابتٌ في دعوته وتنفيذ أوامر ربّه.

الثّاني: التّوكيدُ بمجيء ﴿إِنَّا﴾ بصيغةِ الجمع؛ أيْ: أنا وكلُّ مَن تَبعني؛ لأنّ الجماعة إذا قامتْ بعملٍ جاء على أكمل وجهٍ وأقواه.

الثّالث: التّوكيدُ بالجملةِ الاسميّة، الّتي تَدلُّ على الثّباتِ وقوّةِ الحُكْم وبَقائِهِ؛ أيْ: بيَّن أنّ المؤمنين والنّبيَّ عاملون؛ أيْ: ثابتون مستمرّون في حالهم؛ من إيمانٍ، وإذعانٍ للحقّ، وصبرٍ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/194.

(2) إن كان المخاطَب عالِمًا بالنّسبة فإنّ (إنّ) تفيد توكيد النّسبة، وإن كان مُتردِّدًا فيها، فتكون لنفي الشّكّ عنها، وإن كان مُنكرًا فتكون لنفي الإنكار لها. ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك: 1/314، والأزهريّ، شرح التّصريح: 1/294.

على أذى الكُفّار، والعاقبة ليست واحدةً[1]، "وما كان لله فهو دائمٌ بدوامه سبحانه"[2].

الرّابع: التّوكيدُ باسم الفاعل، وهو من أهمّ الأسماء الصَّرفيَّة في اللُّغة العربيّة الّذي يدلّ على حدثٍ ثابتٍ غير محدّدٍ بزمن، بما يُعطي للمعنى مزيدًا من المبالغة والثّبوت والدّوام والاستمرار، لا مجرّد الحدوث والتّجدُّد كونه أتى في سياق الجملة الاسميَّة.

كلّ هذه المؤكّداتِ مجتمعةً مع ما تتضمّنه مادّة (العمل) في ﴿عَٰمِلُونَ﴾ من شمولٍ لعملِ اللّسان والجوارح والقلب، أفادتِ المبالغةَ في تأكيدِ إظهارِ كمالِ ثباتِ النّبيّ ﷺ وكلِّ مَن تبعه من المؤمنين على الحقّ الّذي يدعون إليه، مهما تعرّضوا للمكائدِ والشّرور، فهم عاملون لا محالةَ، سواء عمل الكفّار أم لا، قال مؤكّدًا لأجل إنكارِ الكفّار أنْ يُداوموا على العملِ المخالِف لهم مع ما يصلُ إليهم لأجله من الضّرّ[3].

في تأكيدهِ ﷺ لثباتهِ على الحقّ تـأدُّبٌ مع الله سبحانه

نكتة حذف النّون الثّانية في ﴿إِنَّا﴾:

حذفَ البيانُ الإلهيّ النّونَ الثّانيةَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾؛ فلم يقُلْ: (إنّنا عاملون)؛ اكتفاءً بمُطلَقِ التّأكيد؛ لأنّه كافٍ في الإعلام بالجزم في النيّة، وفيه تأدُّبٌ بالإشارة إلى أنّ المستقبل أمرٌ لا اطّلاعَ عليه لغيرِ الله، فينبغي أنْ لا يبلغ في التّأكيد فيه غيره، وهذا بخلاف ما في سورة فُصِّلتْ ممّا هو جارٍ على ألسنةِ الكَفَرَة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾ [فُصّلت: 5][4].

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3779.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 9/405.
(3) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 9/405.
(4) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 9/406.

غرضُ التّقديم في ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾:

ثبات النّبيّ والمؤمنين معه على الحقّ أمرٌ قويٌّ مؤكَّدٌ لا يستطيعُ أحدٌ إنكاره

تكمنُ نكتةُ تقديم المُسنَد إليه، وهو الاسم في قوله ﴿إِنَّا﴾ على المُسند الفعليّ - وهو الخبر الّذي جاء بصيغة اسم الفاعل ﴿عَٰمِلُونَ﴾ - في تقوية الحُكم وتوكيده، وهو ثباتُ النّبيّ صلى الله عليه ومَن تبعهُ على الدّين الحقّ، وسببُ تقويةِ الحُكم وتوكيده تكرارُ الإسناد؛ فقد وقع اسم الفاعل - الّذي يُعامَل معاملةَ الفعل كونه وصفًا مؤولًا بالفعل - وقع خبرًا عن المُسند إليه ﴿إِنَّا﴾؛ أيْ: اسمُ الفاعل في الوقت نفسه مسندٌ إلى الضّمير (الواو) العائد على المبتدأ، وذلك لأنّ الخبر إذا كان اسمًا مُشتقًّا ففيه ضميرٌ يعود على المبتدأ، فكأنَّ الحُكمَ هنا ذُكر مرّتيْن؛ مرّةً حين أُسند اسم الفاعل إلى المبتدأ، ومرّةً حين أُسند إلى ضميره العائد إلى المبتدأ، بخلاف إنْ تأخّر المُسنَد إليه، كأن يُقال: (عاملون نحن)، فلا يحدثُ هذا التّكرار، بل يحدثُ الإسناد مرّةً واحدةً فقط.

بلاغة العطف في ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ﴾:

في العطفِ بيانٌ لعاقبة التّمادي في الباطلِ والثّباتِ على الحقِّ

عَطَفَ البيانُ القرآنيُّ قوله تعالى: ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ على قوله جلّ شأنه: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾، ويُشيرُ هذا العطفُ إلى أنَّ الجُملتيْن وإنْ اجتمعتا في المعنى العامِّ، وهو تهديد المشركين الّذين يضعون العقبات في طريق النّبيِّ ﷺ، ودعوته والبُشْرى للمؤمنين، إلّا أنّهما افترقتا؛ فالجملةُ الأولى مقابلة بين الثّبات على الحقّ والاستمرار في الباطل، والثّانية مقابلةٌ بين سُوأى الباطل، وحُسنى العاقبة في الحقّ؛ أي: جاءت الجملةُ المعطوفة لتُكملَ المعنى فتهدّدَ بسوء العاقبة لأهلِ الباطل، وتُبشّرَ بحسنِ العاقبة لأهل الحقّ.

دلالة الأمر في قوله: ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ﴾:

عبّر البيانُ الإلهيّ بفعل الأمر ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ في قوله تعالى:

في الأمرِ تهديدٌ ووعيدٌ بسوءِ العاقبةِ للكافرين

﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾؛ وهو لفظ أمرٍ يُراد به التّهديد والوعيد للّذين لا يؤمنون، كما يُقال في الوعيد: سوف ترى[1]؛ أيْ: انتظروا ما يحلُّ بنا إنّا منتظرون ما يحلُّ بكم من عذاب الله، مع ما في تأكيد هذا التّهديد والوعيد بـ (إنّ) وبالجملة الاسميّة.

نكتةُ فصل قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾:

استئنافٌ بيانيٌّ يدلُّ على ثقةِ المؤمنين بحُسنِ عاقبتهم وسوءِ عاقبةِ أعدائهم

لم يذكر البيانُ الإلهيّ العاطفَ بين قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ وما سبقها ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ﴾؛ لوقوعها استئنافًا بيانيًّا، لِما بين الجُملتيْن من شبهِ كمالِ الاتّصال؛ وذلك أنّه بعد أنْ قال لهم: انتظروا ما وعدكم الشّيطان، كأنّهم قالوا: فما يكون إذا انتظرنا؟ فجاء الجوابُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾؛ أيْ: "إنّا منتظرون ما وعدنا الله من حربكم ونُصرتنا عليكم"[2].

فائدة توالي المؤكّدات في: ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾:

توكيدٌ لكمالِ ثقةِ النّبيّ ﷺ والمؤمنينَ بحُسن عاقبةِ الحقِّ وسُوأى الباطل

توالت المؤكّدات في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ لتشمل التّوكيد بـ (إنَّ)، والتّوكيد بالجملةِ الاسميّة، الّتي تدُلُّ على الثّباتِ والدّوام؛ أيْ: أنّ النّبيّ ﷺ والمؤمنين منتظرون أنْ ينزلَ بالكافرين مثلُ ما نزل بأمثالهم من عقابه تعالى بعذابٍ من عنده، أو بأيدي المؤمنين، وأنْ يكفُلَ لهم النَّصر والغَلَبة[3]، والتّوكيد بمجيء ﴿إِنَّا﴾ بصيغة الجمع؛ أيْ: أنا وكلُّ مَن تبعني، والتّوكيد باسم الفاعل الّذي يُعطي للمعنى مزيدًا من المبالغة في الثّبوت والدّوام والاستمرار؛ كونه أتى في سياق الجملة الاسميَّة.

كلُّ هذه المؤكّداتِ مجتمعةً أفادتِ المبالغة في تأكيد إظهار كمالِ ثقةِ النّبيّ والمؤمنين بنصر الله، وسُوأى الباطل، وحُسنى العاقبةِ في الحقّ.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/229، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/194.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 15/544.
(3) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 12/101.

نكتةُ التقديم في قوله: ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾:

قدّم البيانُ الإلهيُّ المُسنَد إليه وهو الاسم في قوله ﴿إِنَّا﴾ على المُسند الفِعْليّ، وهو الخبر الّذي جاء بصيغة اسم الفاعل ﴿مُنتَظِرُونَ﴾؛ تقويةً وتوكيدًا لثقةِ النّبيّ صلى الله عليه والمؤمنين معه بوعد الله في حقّ الكافرين بأنَّ الله مُهلكهم، ومُنجي النّبيّ ﷺ ومَن تبعه، وسببُ تقويةِ هذا الحُكم وتوكيده تكرارُ الإسناد؛ فقد وقعَ اسم الفاعل ﴿مُنتَظِرُونَ﴾ – الّذي يُعامل معاملة الفعل – خبرًا عن المُسنَد إليه ﴿إِنَّا﴾، واسم الفاعل في الوقت نفسه مُسنَدٌ إلى الضّمير (الواو) العائد على المبتدأ[1]، فكأنَّ الحُكمَ هنا ذُكر مرّتيْن؛ مرّةً حين أُسند اسم الفاعل إلى المبتدأ، ومرّةً حين أُسند إلى ضميره العائد إلى المبتدأ، بخلاف إنْ تأخّر المُسند إليه، كأن يُقال: (منتظرون نحن)، فلا يحدث هذا التّكرار، بل يحدث الإسناد مرّةً واحدةً فقط.

ثقةُ النّبيّ والمؤمنين معه بوعدِ الله في حقّ الكافرين أمرٌ مؤكّدٌ لا مريةَ فيه

أغراضُ الخبريْن ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ و﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾:

يفيدُ الخبرُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ تعريفَ المخاطَبين بالحُكم الّذي تضمّنته الجملتان الخبريّتان، وهو ثباتُ النّبيّ ﷺ والمؤمنين على الحقّ، وثقتهم بنصر ربّهم لهم، وإهلاكِ عدوّهم؛ وفي هذا تهديدٌ ووعيدٌ للكافرين.

إخبارُ تعريفٍ وتهديدٍ بعذاب الله للكافرين

بلاغةُ المقابلة في الآية:

في قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ مقابلةٌ بين الحقّ والباطل، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ مقابلةٌ بين سُوْءَى الباطل، وحُسنى العاقبة في الحقّ، والمعنى: اعْمَلُوا عَلَى حالكم الّتي أنتم عليها من الغيّ والضّلال، إنّا عاملون مستمرّون في

لا يستوي مَنْ يستمرُّ في كُفره وغيّه ومَنْ يثبتُ على الحقّ في الحسابِ والجزاء

(1) وذلك لأنَّ الخبر إذا كان اسمًا مُشتقًّا، ففيه ضمير يعود على المبتدأ.

حالنا من إيمانٍ، وإذعانٍ للحقّ، وانتظروا عواقبَ فسادكم وجحودكم، وما استهواكم من مفاسد، إنّا مُنتَظِرُونَ ما نرجو من رحمته ورضوانه جزاءً وفاقًا لأعمالنا[1].

وفي هذه المقابلة زيادةُ إيضاحِ فرقٍ بين أهلِ الحقّ، وأهل الباطل، وبين جزاءِ الحقّ، وجزاءِ الباطل، وفيها: إضفاءُ رونقٍ على الكلام، وتقويةُ علاقةٍ بين الألفاظ والمعاني، إذ بضدّها تتميّز الأشياء.

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3780.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 22 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-19-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 22 : المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-19-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»